ظاهرة الحفظ عند الأئمة
جمع ودراسة لعجائب الحفاظ

د. خالد بن حسن العبري

أستاذ الدعوة والحسبة المساعد

جامعة الملك فهـد للبترول والمعـادن

ظاهرة الحفظ عند الأئمة
جمع ودراسة لعجائب الحفاظ

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إن آيات الله في الآفاق وفي الأنفس كثيرة لا تُحصى، ومن تلك الآيات ما أودعه الله في بني آدم من الحفظ وسعة الذاكرة، والقدرة على الاستذكار. فلا شك أنها آية، وهي نعمة يجب شكرها وأداء حقها، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(١).

وإن المتأمل لما كتبه بعض المؤلفين عن الإبداع والمبدعين، وعوامل الإبداع ومظاهره، يجد أن ذلك الأمر برز فيه العلماء من السلف بصورة كبيرة، حيث أبدعوا وأتقنوا، وأتوا بما تعجب العقول منه، وتعجز النفوس أن تأتي بمثله؛ بل إن خيال بعض أهل عصرنا -ناهيك عن واقعه- يقصر عن هممهم وأعمالهم.

وما حصل ذلك الإبداع صدفة، وإنما نالوه بأسباب كثيرة، وطرق متعددة؛ لم تكن سهلة أو عذبة. بل حصّلوا ذلك بالتعب والنصب، وتحمل المشاق، وهجر النوم والدعة والراحة، وترك الملذات، وقطع المسافات، ومفارقة الأهل والأوطان، والصبر على الجوع والفقر، وشظف العيش، وغير ذلك.

(١) الذاريات، آية ٢١.

وقـــد حرصت في هذا البحث على أن أجمع بعض النماذج التي أبدع فيها علماؤنا السابقون، والتي في غالبها لأئمة الحديث. وسيكون تركيزي على إبراز جانبيـــن مهمين: **الأول**: جانب الغزارة في الحفظ، **والثاني**: جانب الإتقان والدقة في الحفظ.

وكان من منهجي في هذه الورقات ما يلي :

- رتبت أسماء الرجال بحسب التسلل الزمني.
- ذكرت اسم صاحب الخبر -دون غيره- متبوعاً بتاريخ الوفاة.
- كتبت اسم صاحب الخبر وموضع الشاهد بخط أسود عريض، وذلك لإبرازه.
- اقتصرت في الأخبار على ما فيه نوع من الغرابة والإبداع.

الفصل الأول: ضرورة الاعتناء بالحفظ

توطئة :

أنعم الله ﷻ علينا في هذا العصر بنعم كثيرة، منها: نعمة التقنية التي لم تكن متاحة ولا موجودة عند أسلافنا. فعصرنا ليس كعصرهم في التطور المعرفي واستخدام الحاسب الآلي بإمكاناته الكبيرة في خدمة العلوم بعامة، وعلوم الشريعة بخاصة.

ومع أن هذه التقنية قد حرمها سلفنا إلا أنهم كانوا أكثر منا علماً، وأكثر حرصاً في تحصيل العلم وحفظه. حتى أنك تتعجب من أخبارهم في هذا الجانب، وقد يظنها بعض من قرأها من الغرائب.

وسأسرد بعض النماذج التي يبرز فيها جانب الحفظ عند الأئمة، وسيكون التركيز في غالب الأمثلة على حفظ السنة النبوية. فكما أن المسلم مطالب بحفظ القرآن في الصدور والعناية به واستظهاره، فالشأن كذلك بالنسبة للسنة المطهرة، وذلك لأن السنة وحيٌ بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، كما قال تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحيٌ يوحى**﴾[1]، وكما قال ﷺ: "**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**....."[2]، وقال الشوكاني: (وقد اتفق من يعتد به من أهل العلم، على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام)[3].

---

(1) النجم، آية ٣، ٤.
(2) رواه أبو داود في السنن عن المقداد، كتاب السنة. باب لزوم الجماعة، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٨٤٨).
(3) إرشاد الفحول، ص٣٣.

والوحي محفوظ بحفظ الله له. كما قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له حـــافظون**﴾[1]، قال ابن حزم: (كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله ﷻ، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله، فللّه الحجة علينا أبداً)[2].

فعلـــى الـــرغم من تتابع القرون، وتعاقب الأجيال. وعلى الرغم من كثرة الزنادقة والمفسدين، والوضاعين، والعابثين. إلا أن الله تعالى حفظ سنة نبيه من التبديل والتحريف.

فالحمد لله الذي هيأ الأسباب لحفظ السنة من التبديل والتحريف، والحمد لله الـــذي أوجد الظروف لصيانة السنة ورعايتها، ولا شك أن من الأسباب التي لا مـــرية فـــيها ما أودعه الله في قلوب الرجال الصادقين من الأئمة السابقين من الحفـــظ والوعـــي. وهـــذه القوة في الحفظ لم تأتِ إلا بعوامل عدة منها : الجد والمذاكرة والمراجعة، وغيرها من العوامل ليس هذا مجال ذكرها.

المبحث الأول : أهمية الحفظ، وضرورة الفهم ! :

اعتـــنى العلماء بالحفظ وحثوا طلاب العلم على مراعاته؛ فهو أصل عظيم، بل إن بعضهم لم يكن يعدّ الشيء علماً ما لم يُحفظ. قال أحدهم:

لـــيس بعلـــم مـــا حوى القمطر   مـــا العلـــم إلا مـــا وعـــاه الصدر
فـــذاك فـــيه شـــرف وفخـــر   ورتـــــبة جلـــــيلة وقـــــدر[3].

(1) الحجر، آية ٩.

(2) الإحكام في أصول الأحكام ١/١١٠.

(3) أدب الإملاء والاستملاء، ص١٤٧.

وهذا يدل على أن الحفظ مطلب ضروري ولكن لا بد أن يجتمع معه الفهم؛ وقد يكون الفهم طريقاً وسبيلاً للحفظ؛ فالعلاقة بينهما فيها نوع من التكامل. ولا بد لطالب العلم من مراعاة الحفظ والفهم والموازنة بينهما. وقد يقال إن الحفظ أغلب ما يكون الاشتغال به في الصغر، والفهم أغلب وقته هو حال الكبر لتفتح الذهن، ولا يعني ذلك أن الفهم يُغفل في حال الصغر، ولا أن الحفظ يهمل في سن الكبر، وإنما المراد هو إعمال كل سن بما يكون الإقبال عليه أكثر من غيره.

ومن كانت عنايته بالحفظ وحده قد لا يحصل الملكة العلمية من استخراج واستنباط. وقد روي عن رسول الله ﷺ: **"كونوا دراة ولا تكونوا رواة، حديث تعرفون فقهه خير من ألف حديث ترونه"**[1]. وقد قال رجلٌ لمالك: قد سمعت مائة ألف حديث. فقال مالك: مائة ألف حديث، أنت حاطب ليل تجمع القشعة؟ قال: ما القشعة؟ قال: الحطب يجمعه الإنسان بالليل، فربما أخذ معه الأفعى فتنهشه[2]. وقال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري[3]. قال الناظم:

---

(1) رواه الخطيب البغدادي في نصيحة أهل الحديث، ص٣١. قال المعلق على مختصر النصيحة: رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود بإسناد ضعيف. ص١٠٤. وحكم عليه الألباني بالوضع، ضعيف الجامع، بلفظ: "كونوا للعلم وعاة". رقم (٤٢٨٢).

(2) رواه ابن سعد في الطبقات (القسم المتمم)، ص٤٣٩. وصححه الألباني، انظر: الرد المفحم، ص١٤١.

(3) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، برقم (٢٦٣). وصححه الألباني، انظر: الرد المفحم، ص١٤١.

إن الـــذي يـــروي ولكـــنه يجهـل مـا يـروي ومـا يكتب
كصـــخرة تتـــبع أمواههـــا تسقي الأراضي وهي لا تشرب[١].

وقال آخر:

يـــا طالـــب العلـــم الـــذي ذهبـــت بمدتـــه الـــرواية
كـن فـي الـرواية ذا العناية بالـــــرواية والدرايـــــة
وارو القلـــــيل وراعـــــه فـــالعلم لـــيس له نهايـــة[٢].

وقال محمد بن النضر الحارثي: (قيل ما أول العلم؟ قال الاستماع له. قال: ثـم ماذا؟ قال: ثم الحفظ له. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم العمل به. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم نشره)[٣].

وقـــال صدّيق حسن خان: (اعلم أن من كان عنايته بالحفظ أكثر من عنايته إلى تحصيل الملكة لا يحصل على طائل من ملكة التصرف في العلم ولذلك ترى من حصل الحفظ لا يحسن شيئا من الفن وتجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظـر كأكـثر فقهـاء المغرب وطلبة علمه من أهل بخارى وبغداد وكابل وقـندهار ومـن إلـيها من المدن والأمصار ومن ظن أنه المقصود من الملكة العلمـية فقـد أخطـأ وإنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط، وسرعة

(1) فتح المغيث ٣٧٤/٢.
(2) المرجع السابق.
(3) موضـح أوهـام الجمع والتفريق ٤٤٣/١-٤٤٤. والمدخل إلى السنن الكبرى ٣٤٩/١. ونسبه محمد بن النضر لسفيان بن عيينة كما في الحلية ٢٧٤/٧، وشعب الإيمان ٢٨/٢.

الانتقال من الدوال إلى المدلولات، ومن اللازم إلى الملزوم، وبالعكس فإن انضم إلـيها ملكة الاستحضار فنعم المطلوب وهذا لا يتم بمجرد الحفظ بل الحفظ من أسباب الاستحضار وهو راجع إلى جودة قوة الحافظة وضعفها وذلك من أحوال الأمزجة الخلقية وإن كان مما يقبل العلاج)[١].

ونقل الغزالي عن أبي سفيان، أنه حضر في مجلس زائد بن أحمد فكان أول حديـث سـمعه قوله ﷺ: "**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**"؛ فقام وقال يكفيني حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره[٢]. وأبلغ من هذا ما قاله أبو عبد الرحمن السلمي: "إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لـم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به"[٣].

يقـول ابن تيمية في مقارنة بين أبي هريرة وابن عباس: (وأين تقع فتاوى ابـن عـباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درساً، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها)[٤].

---

(1) أبجد العلوم ٢٣٩/١.

(2) الحطة في ذكر الصحاح الستة، ص١٣٩-١٤٠.

(3) الطبقات الكبرى ١٧٢/٦.

(4) مجموع الفتاوى ٩٤/٤.

فالفقه شيء زائد عن مجرد الحفظ، وهذا أمر ورد واضحاً في قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾**(١) قال ابن كثير في تفسير الآية: (يستنبطونه أي: يستخرجونه ويستلمونه من معادنه)(٢)، وقال ابن القيم: (ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ، فإن ذلك ليس طريقه الاستنباط، إذ إن موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط، وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم، والله سبحانه ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط، من أولي العلم حقيقته ومعناه)(٣).

فالكفة راجحة لصالح الفهم ولا شك؛ إذ إن مقارنة صغيرة بين النصوص الواردة في الحفظ وتلك الواردة في الفقه والفهم تظهر بوضوح اهتمام النصوص البالغ بالثاني أكثر من الأول، في الحث على الفهم والفقه والتدبر والتعقل ونحو ذلك. بل جاء ذلك في نص واحد محكم يضع العلاقة بين الأمرين في وضعها الطبيعي، وذلك في قول النبي ﷺ: **"نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"**(٤). وهذا ما يدل بوضوح على أن الحفظ وسيلة وأن الفقه غاية، وشتان ما بين الغاية والوسيلة.

---

(1) النساء، آية: ٨٢.
(2) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٢.
(3) إعلام الموقعين ٢٢٥/١.
(4) أخرجه الترمذي وغيره واللفظ له، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم (٢١٣٩).

وهـــذا الكلام صحيح ولكنه لا يقلل من شأن الحفظ. والحق أنه مما ينبغي التفطـــن له أن المقـــام هنا مقام سرد لسيرِ الحفاظ ونماذج من روائعهم، وليس مقام مقارنة بين الحفظ والفهم.

المبحث الثاني : العناية بإتقان الحفظ :

جعـــل الأئمـــة مـــن شروط الرواية: الإتقان. وقد أكد أئمة هذا الشأن هذه المســـألة؛ فقـــال عبدالرحمن بن مهدي: (الحفظ هو الإتقان)[١]. وقال أبو زرعة الدمشقي: (رأيت أبا مسهر يكره للرجل أن يحدث؛ إلا أن يكون عالماً بما يحدث ضـــابطاً له)[٢]. وقـــال الإمـــام أحمد: (الحديث شديد)[٣]. وقال عبد الرحمن بن مهـــدي: (يحرم على الرجل أن يروي حديثاً في أمر الدين؛ حتى يتقنه ويحفظه كالآيـــة من القرآن أو كاسم الرجل)[٤]. وقال يحيى بن سعيد القطان: (لئن يكون خصمي في الآخرة رجل من عرض الناس، أحب إلي من أن يكون خصمي في الآخـــرة النبي ﷺ يقول: بلغك عني حديث وقع في وهمك أنه عني غير صحيح يعنـــي فلـــم تنكر)[٥]. وكان من توقيهم ما يفعله بعض الأئمة من امتحان الرواة للـــتأكد مـــن محفوظاتهم، كما قال حماد بن سلمة: كنت أقلب على ثابت البناني حديـــثه، وكـــانوا يقولون القصاص لا يحفظون، وكنت أقول لحديث أنس: كيف

(1) الكفاية في علم الرواية، ص١٦٥. وفتح المغيث ٢٢٨/٢.
(2) الكفاية في علم الرواية، ص١٦٦.
(3) المرجع السابق.
(4) حلية الأولياء ٤/٩.
(5) شرح علل الترمذي ٤٦٦/١.

حدثك عبد الرحمن بن أبي ليلى؟ فيقول: لا إنما حدثناه أنس. وأقول لحديث عبد الرحمـن بن أبي ليلى: كيف حدثك أنس؟ فيقول: لا إنما حدثناه عبد الرحمن بن أبـي لـيلى(١). وكـان مالك بن أنس يتقي في حديث رسول الله ﷺ الباء والتاء ونحوهما(٢).

وكـانوا يـرون أن من الإتقان أن يكون حفظه مأخوذاً عن العلماء لا عن الكتب والأوراق. ويسمون من هذه حاله بالصحفي. قال سليمان بن موسى: (لا تـأخذوا العلم من الصحفيين)(٣). قال ثور بن يزيد: (لا يفتى الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي)(٤). وفي الجملة كانت عنايتهم بالإتقان ووسائله عظيمة جداً، دلَّ عليها ما أشرت إليه ومنها ما لم أذكره.

المبحث الثالث : نسيان الحفاظ !!! .

مـن الواقعية في تقييم المرويات عن أئمة الحفاظ الإقرار بأمرين مهمين: الأول: أن الغالـب عليهم في مجموعهم غزارة المحفوظ وإتقانه. والثاني: أنهم بشـر يعـتريهم ما يعتري من سواهم من نسيان وخطأ. وهذا أمر منطقي، قال يحيى بن معين: (من لا يخطئ فهو كذاب)(٥). وقال الإمام أحمد: (كان مالك من أثبـت الناس وكان يخطئ)(٦). وأُقعد علي بن المديني بسامرا على منبر، فقال:

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/١٣٥.
(2) حلية الأولياء ٦/٣١٨.
(3) تهذيب الكمال ٣١/٩٨.
(4) الكفاية في علم الرواية، ص١٦٣.
(5) تاريخ ابن معين ٤/٢٧٤.
(6) شرح علل الترمذي ١/٤٣٧.

يقبح لمن جلس هذا المجلس أن يحدث في كتاب، ثم حدث من حفظه فغلط في أول حديث!(1). وقال البرذعي: (شهدت أبا زرعة ذكر عبد الرحمن بن مهدي، ومدحه وأطنب في مدحه، وقال وهِمَ في غير شيء، ثم ذكر عدة أسماء صحّفها)(2). رحمة الله عليهم.

فالإنسان مجبول على النسيان،ولم يسلم من الخطأ أحدٌ من الأئمة على جلالة قدرهم، وقد سجل النقاد أوهام الحفاظ، وألف العلماء في هذا الخصوص(3). بل الأعجب من ذلك أن الراوي قد ينسى حديثاً حدث به فيذكره غيره؛ فيروي عمن ذكّره، (قال ابن الصلاح: وقد روى كثير من الأكابر أحاديث نسوها بعد ما حدثوا بها، وكان أحدهم يقول: حدثني فلان عني عن فلان بكذا، وصنف في ذلك الخطيب: أخبار من حدث ونسي، وكذلك الدارقطني)(4). وقد جمع السيوطي جزءاً لطيفاً فيمن حدّث بحديث ثم نسيه، قد لخصه من كتاب الخطيب، سماه: "تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي".

وهذا النسيان والخطأ قد يكون الإنسان معذوراً فيه؛ وهو الذي يحصل من غير كسب المرء. وقد لا يكون معذوراً فيه؛ وهو الذي يحصل بسبب الإهمال والغفلة والإعراض.

---

(1) فتح المغيث ٢٢٨/٢.

(2) شرح علل الترمذي ٤٣٦/١.

(3) انظر: موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي، وتهذيب مستمر الأوهام لابن ماكولا، وكتاب أوهام الحاكم لعبدالغني بن سعيد الأزدي، هذا غير كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال.

(4) تدريب الراوي ٣٣٦/١.

ولعل من الصواب أن يقال: كما أن الحفظ من نعم الله سبحانه؛ فإن النسيان نعمة ورحمة في بعض وجوهه، ولو لم يكن كذلك لما سلا المحزون مما أصابه من البلاء.

المبحث الرابع : عدد أحاديث الإسلام :

ما نقل عن السلف حول حفظ عدد كثير من الأحاديث، فقد يروى عن واحد منهم أنه يحفظ مائة ألف أو مائتي ألف أو ثلاثمائة أو غير ذلك!!!. والسؤال هنا: هل الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ تصل إلى هذا العدد؟ فالجواب أن يقال: إن المراد بهذا العدد الطرق لا المتون. فربما عدوا الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين لا حديثاً واحداً. قال السيوطي: (ويؤيد أن هذا هو المراد أن الأحاديث الصحاح التي بين أظهرنا بل وغير الصحاح لو تتبعت من المسانيد والجوامع والسنن والأجزاء وغيرها لما بلغت مائة ألف بلا تكرار بل ولا خمسين ألفاً)(١).

وقال ابن الجوزي: (اعلم أن حصر أحاديث رسول الله ﷺ بعيد إمكانه، غير أن جماعة من أهل العلم بالغوا في تتبعها وحصروا ما أمكنهم فأخبر كل منهم عن وجوده .... فروي عن أحمد بن حنبل يقول صح الحديث سبعمائة ألف وكسر، وهذا الفتى يعني أبا زرعة قد حفظ ستمائة ألف......... وقال الإمام أحمد عن مسنده: هذا كتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفاً فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجه. فإن قيل: كل ما يحوى مسند أحمد فيما يقال أربعون ألفاً؛

---

(1) تدريب الراوي ١/١٠٠.

منها عشرة آلاف مكررة؛ فكيف يقول أحمد: صح الحديث سبعمائة ألف وخمسون ألفاً ومسنده لا يبلغ خمسين ألفاً؟ ثم يقول: ما لم تجدوه فيه فليس بحجة. فأين السبعمائة ألف؟ فالجواب: أن المراد بهذا العدد الطرق لا المتون)[١]. والعلم عند الله تعالى.

(1) تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٢٦٢-٢٦٣، بتصرف يسير.

الفصل الثاني : نماذج من عجائب الحفاظ

توطئة :

هــذه بعض من النماذج التي تدل على قوة الحفظ والإتقان عند سلفنا، حتى أضحى الواحد منهم آية من الآيات، وواحدة من العجائب، وفريدة من الغرائب، إذا مـا قــورن بآحــاد عصرنا. والغريب في الأمر! أن: وسائل التعلم، وسبل تحصــيله، وطــرق الوصــول إليه، والرحلة في طلبه، واقتناء الكتب، وسهولة الدلالــة عليها. كل ذلك وغيره ميسرٌ في عصرنا، صعب المنال في عصرهم، إلا أنهم تجاوزوا تلك الصعوبات كلها، بصدق النية في تحصيل العلم.

وخذ مثالاً واحداً قد لا يفطن بعض الناس إليه، وهو فيما يتعلق بالإضاءة، فلو تأمل الإنسان فيما يحتاجه الواحد من السلف في إضاءة المصباح من الوقت والجهد والتعب والتحمل في جلب الزيت ومراعاة الفتيلة، ويا ليته يظفر بضوء واضــح؛ بل الحال أنه ضوء خافت ودخان مزعج. فسيجد الناظر فرقاً واضحاً وبوناً شاسعاً بينه وبين ما يفعله الواحد منّا إذا أراد الإنارة؛ فإنه لا يحتاج إلا إلى ضغط زرٍ واحد فقط.

ومــن عجائــب حفظهــم وفرائد إتقانهم، التي قد يظنها بعضنا ضرباً من الخيال، ونوعاً من الغرائب، ما يلي:

المبحث الأول : من روائع المائة الأولي :

امتاز الصحابة رضي الله عنهم بقوة الحافظة وجودة الاستحضار، فالحافظة عندهم لا تكاد تخطئ. يروي لهم النبي ﷺ حديثاً قصيراً كان أم طويلاً فلا يكاد يغيب عن أذهانهم. وصحيح أنهم تفاوتوا في الرواية فمنهم المكثر ومنهم المقلُّ،

لكـن الغالب عليهم الإتقان في الحفظ والرواية. والصحابة رضي الله عنهم نقلوا لـنا كل صغيرة وكبيرة من حياة النبي ﷺ، مما يحتاجه الناس في دينهم، سواء أكان ذلك متعلقاً بعبادة أو عادة، في حال إقامته أو سفره، في سلمه أو حربه، في رضـاه أو غضبه، حتى في أموره الخاصة مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بل وفي شأنه كله.

وهنا ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : كمال البلاغ من لدن رسول الله ﷺ حيث بيَّن للأمة جميع ما تحتاجه، وهذا من حرصه ﷺ على إيصال النفع الدنيوي والأخروي، كما قال الله تعالى: ﴿**حريص عليكم**﴾، قال أبو ذر ﵁: "**تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً. قال فقال ﷺ: ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم**"[1]. ومن حديث العرباض بن سارية مـرفوعاً: "**قـد تركـتكم علـى البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هـالك**"[2]. وقـال العباس ﵁: "إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجـاً واضحاً؛ فأحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم، ما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال يخبط عليها العضاة بمخبطه، ويمدر حوضها بيده، بأنصب ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم"[3].

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٥٥، برقم (١٦٤٧).

(2) رواه ابن ماجة ١/ ١٦، برقم (٤٣).

(3) رواه الدارمي في سننه ١/ ٥٢، برقم (٨٣).

الجانب الثاني : حثُّ النبي ﷺ على حفظ السنة ونقلها ، فقال ﷺ: "**بلغوا عني ولو آية**"[1]، وقال ﷺ: "**ليبلّغ الشاهد الغائب**"[2]. وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**نضّر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه**"[3]. ومن حثه على الحفظ قوله ﷺ لوفد عبد القيس: "**احفظوهن وأخبروا بهن من ورائكم**"[4]. وأوجب النبي ﷺ تحري الدقة في النقل؛ فقال: "**إن كذبا علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**"[5]. وقال ﷺ: "**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**"[6]. وهذا وعيدٌ شديدٌ من النبي صلى الله عليه وسلم على من يكذب عليه، وقد كان لهذا الوعيد ثمراته لدى الصحابة رضي الله عنهم، من الدقة والإتقان والبعد المطلق عن الكذب عليه ﷺ، (فلا يعرف من الصحابة من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب ممّا عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم)[7].

---

(1) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الفتح ٦/ ٤٩٦، برقم (٣٤٦١).

(2) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، الفتح ١/١٥، برقم (٦٧).

(3) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السامع، برقم (٢٦٥٦).

(4) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، الفتح ١/ ١٢٩، برقم (٥٣).

(5) رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم، وهو حديث متواتر.

(6) رواه مسلم، في أول كتابه الصحيح.

(7) الرد على الأخنائي، ص ١٠٣-١٠٤.

الجانب الثالث : جانب الحرص لدى الصحابة رضي الله عنهم، والاهتمام بحفظ السنة ونقلها على الوجه الصحيح. وهو نتيجة طبيعية للجانبين السابقين. ومن صور ذلكم الحرص ما رواه ابن عباس عن عمر قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك[1]. ومن تلك الصور أيضاً ما فعله جابر بن عبد الله حيث قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه، قال: فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري[2].

وتتمثل الدقة المتناهية في روايات الصحابة رضي الله عنهم، قال محمد بن علي: كان ابن عمر إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه ولم يجاوزه ولم يقصر عنه. وقال يعفر بن روذي: سمعت عبيد بن عمير وهو يقص يقول: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المنافق كمثل الشاة الرابضه بين الغنمين. فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين. وقال الأعمش: كان هذا العلم عند أقوام، كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واواً أو ألفاً أو دالاً[3].

---

(1) رواه البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، الفتح ١/ ١٨٥، برقم (٨٩).

(2) الرحلة في طلب الحديث، ص ١١٠.

(3) هذه الآثار وغيرها، رواها الخطيب البغدادي في الكفاية، ص١٧١ وما بعدها.

وأما إمام أهل العراق: **سفيان الثوري** (١٦١هـ) فقد شُهد له بالحفظ؛ فقال ابن عيينة: ما بالعراق أحدٌ يحفظ الحديث إلا سفيان. وقال عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني[١]. وقال: ما استودعت أذني شيئا قط إلا حفظته حتى أني أمر بكذا كلمة قالها فأسد أذني مخافة أن أحفظ ما يقول[٢]. وقال شريك قدم علينا سالم الأفطس، فأتيته ومعي قرطاس فيه مائة حديث، فسألته عنها فحدثني بها وسفيان يسمع، فلما فرغ قال لي سفيان: أرني قرطاسك؛ فأعطيته إياه فخرقه، فرجعت إلى منزلي فاستلقيت على قفاي فحفظت منها سبعة وتسعين حديثاً وذهبت عني ثلاثة، قال: وحفظها سفيان كلها[٣]. ومما يُذكر من إتقانه ما رواه معاوية بن عمرو عن زائدة قال: كنا نأتي الأعمش فيحدثنا فيكثر، ونأتي سفيان الثوري فنذكر له تلك الأحاديث، فيقول: ليس هذا من حديث الأعمش. فنقول: هو حدثنا به الساعة، فيقول: اذهبوا فقولوا له إن شئتم، فنأتي الأعمش فنخبره بذلك فيقول: صدق سفيان ليس هذا من حديثنا[٤].

وقيل **لليث بن سعد** (١٧٥هـ): أمتع الله بك إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك! فقال: أوكلما في صدري في كتبي! لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب[٥].

---

(1) مسند ابن الجعد، ص٢٦٩. والسنن الكبرى للنسائي ١٥٦/٦.

(2) حلية الأولياء ٣٦٨/٦.

(3) معرفة الثقات، ص٤٠٩.

(4) شرح علل الترمذي ٤٥٤/١.

(5) تاريخ دمشق ٣٥٦/٥٠.

قال أحمد لداود بن عمرو الضبي: أكان يحدثكم إسماعيل بن عياش (١٨١ هـ) من حفظه؟ قال: نعم، ما رأيت معه كتاباً قط، لقد كان حافظاً. قال: كم كان يحفظ؟ قال: شيئاً كثيراً. فقال: عشرة آلاف؟ قال: عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف. قال: هذا كان مثل وكيع[1].

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى عليّ عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨ هـ) عشرين ألف حديث حفظاً[2]. وقال محمد بن يحيى الذهلي: ما رأيت في يد عبد الرحمن بن مهدي كتاباً قط، يعني كان يحدث حفظاً[3]. وكان يتوقى كثيراً يحب أن يحدث باللفظ[4].

المبحث الثالث : من روائع المائة الثالثة :

وكان أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (٢٠٣هـ) أحد الحفاظ الأعلام، قال الفلاس: ما رأيت في المحدثين أحفظ منه، سمعته يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر[5].

وكان الإمام الرباني يزيد بن هارون (٢٠٧هـ) يقول عن نفسه: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر. وقال علي بن المديني: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون[6]. وقال زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد بن هارون كتاباً قط ولا حديثاً إلا حفظاً[7].

(1) تاريخ بغداد ٦/٢٢٤.
(2) سير أعلام النبلاء ٩/١٩٥.
(3) سير أعلام النبلاء ٩/٢٠٣.
(4) شرح علل الترمذي ١/٤٦٨.
(5) طبقات الحفاظ، ص١٥٤. والعبر في خبر من غبر ١/٣٤٦.
(6) العبر في خبر من غبر ١/٣٥١.
(7) تاريخ بغداد ١٤/٣٤٠.

وقال أبو نعيم: ما رأيت ضريراً أحفظ من **أحمد بن جعفر الوكيعي** (٢١٥ هـ). وقال إبراهيم الحربي: عرضت عليه مسند ابن أبي شيبة كله، وكان يذكر الحديث فأسأله عنه فيقول: ما سمعت هذا من محدث وإنما سمعتكم يوم الجمعة تذكرونه. قال إبراهيم: وكان الوكيعي **يحفظ مائة ألف حديث** ما أحسبه سمع حديثاً قط إلا حفظه[١].

ومما يبين إتقان الحافظ الكبير **أبي نعيم الفضل بن دكين** الكوفي (٢١٨هـ) ما جرى بينه وبين يحيى بن معين حين دخل الكوفة مع الإمام أحمد: فقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل أريد أختبر أبا نعيم، فقال له أحمد: لا نريد الرجل ثقة، فقال يحيى: لا بد لي. فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه. ثم جاؤوا إلى أبي نعيم فدقوا الباب فخرج فجلس على دكان طين حذاء بابه، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه وأخذ يحيى فأجلسه عن يساره، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث وأبو نعيم يسمع، ثم قرأ الحادي عشر، فقال أبو نعيم: ليس من حديثي أضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني فقال أبو نعيم: ليس من حديثي فأضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث، وقرأ الحديث الثالث فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى بن معين فقال له أما هذا – وذراع أحمد بن حنبل بيده– فأورع من أن يعمل مثل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، ثم أخرج رجله فرفس يحيى بن معين فرمى به من الدكان وقام فدخل داره، فقال أحمد ليحيى: ألم أمنعك من الرجل وأقل لك إنه ثبت، قال: **والله لرفسته لي أحب إلي من سفرتي**[٢].

(1) تاريخ بغداد ٥٨/٤.
(2) تهذيب الكمال ٢١١/٢٣.

قال الشافعي: ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من عبد الله بن الزبير **الحميدي** (٢١٩هـ)، كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث[(١)].

وكان **محمد بن عيسى بن نجيح بن الطباع** البغدادي (٢٢٤هـ) حافظاً ثبتاً، قال عنه أبو حاتم: ما رأيت أحفظ للأبواب منه. وقال عنه أبو داود: كان متفقهاً وكان **يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث**[(٢)].

وكان **محمد بن سلام البيكندي** (٢٢٥هـ) يحفظ **خمسين ألف حديث**، وقال: أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً وفي نشره مثلها[(٣)].

وأما **ابن أبي شيبة** (٢٣٥هـ) فقد وُصف بالحفظ والإتقان وضُرب به المثل في الحفظ. قال عمرو الفلاس: (ما رأيت أحداً أحفظ للحديث من ابن أبي شيبة، قدم علينا مع ابن المديني، فسرد للشيباني أربعمائة حديث حفظاً وقام)[(٤)].

وقال **إسحاق ابن راهويه** (٢٣٨هـ): **ما سمعت شيئاً إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً فنسيته**، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديثٍ في كتبي. وقال: أعرف مكان مائة ألف حديثٍ كأني أنظر إليها، **وأحفظ سبعين ألف حديثٍ** عن ظهر قلبي، وأحفظ أربعة آلاف حديثٍ مزورة. فقيل له: ما معنى حفظ المزورة؟ قال إذا قرئ منها حديثٌ في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياً[(٥)]. وقال الخفاف:

(1) سير أعلام النبلاء ٦١٨/١٠.

(2) شذرات الذهب ٥٥/٢.

(3) العبر في خبر من غبر ٣٩٥/١.

(4) انظر: تاريخ بغداد ٦٦/١٠. وسير أعلام النبلاء ١٢٣/١١. وتهذيب التهذيب ٣/٦.

(5) تاريخ دمشق ١٣٨/٨. وبغية الطلب في تاريخ حلب ١٣٩١/٣.

وأملــى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً، ولا نقص حرفاً[١].

وذكــر أبو زرعة الرازي عن **الإمام أحمد** (٢٤١هــ) أنه كان **يحفظ ألف ألف حديث**. قيل: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب[٢].وقال عبد الله بن أحمد: قال لي أبي خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف؛ فإن شئت تســألني عــن الكــلام حــتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك بالكلام[٣].

ومن عجائب الحفاظ: قاضي مصر أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٥١هــ) **حدث بكتب أبيه كلها من حفظه** بمصر، ولم يكن معه كتاب[٤]. وهي أحد وعشرون مصنفاً، كان يحفظها كما يحفظ القرآن!![٥].

وكان **إسحاق بن بهلول أبو يعقوب التنوخي** الأنباري (٢٥٢هــ) من كبار الأئمة صنف في القراءات وفي الحديث والفقه. قال ابن صاعد: حدث إسحاق بن بهلــول نحــو **خمســين ألف حديث** من حفظه[٦]. قال الذهبي: (قلت: كذا فليكن الحفظ وإلا فلا. قنعنا اليوم بالاسم بلا جسم، فلو رأى الناس في وقتنا من يروي

(1) سير أعلام النبلاء ٣٧٣/١١.
(2) المنتظم ٢٨٧/١١.
(3) شرح علل الترمذي ٤٨٠/١.
(4) تاريخ بغداد ٢٢٩/٤.
(5) سير أعلام النبلاء ٥٦٦/١٤.
(6) العبر في خبر من غبر ٩/٢.

ألـــف حديث بأسانيدها حفظاً لانبهروا له)[1]. قلت: ولو رأى الناس في وقتنا من يروي ألف حديث بلا أسانيد لانبهروا له.

وكان أبو علي **إسماعيل بن يوسف الديلمي** (٢٥٥هـ) **يحفظ أربعين ألف** حديث[2]. ويذاكر **بسبعين ألف** حديث[3].

ويقـــول الإمـــام محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ): (**أحفظ مائة ألف حديـــث صـــحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح**)[4]. وقال بعض أقرانه: كـــان أبو عبدالله يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى علـــى ذلـــك أيامٌ، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يومـــاً بعـــد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما علي وألححتما فأعرضا علي ما كتبـــتما، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها على ظهـــر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه. ثم قال: أترون أني اختلف هدراً وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد[5]. قال عنه ابن خزيمة: (ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري).

وكـــان **أبو زرعة الرازي** (٢٦٤هـ) أحد الأئمة الحفاظ المتقنين، قال أبو العـــباس محمـــد بن جعفر بن حمكوية: سئل أبو زرعة الرازي عن رجل حلف

(1) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩٠.
(2) المنتظم ١٢/٩٠.
(3) تاريخ بغداد ٦/٢٧٤.
(4) تاريخ دمشق ٥٢/٦٤. وسير أعلام النبلاء ١٢/٤١٥.
(5) تاريخ دمشق ٥٢/٦١.

بالطلاق؛ أن أبا زرعة يحفظ **مائتي ألف حديث**، هل حنث؟ فقال: لا، ثم قال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث، كما يحفظ الإنسان ﴿**قل هو الله أحد**﴾، وفي المذاكرة ثلاثمائة ألف حديث[1]. وقال عن نفسه: أنا أحفظ ستمائة ألف حديث صحيح، وأربعة عشر ألف إسناد في التفسير والقراءات، وعشرة آلاف حديث مزورة، قيل له ما بال المزورة تحفظ؟ قال: إذا مر بي منها حديث عرفته[2]. وقال: ما سمع أذني شيئاً من العلم إلا وعاه قلبي وأن كنت لأمشي في سوق بغداد فأسمع من الغرف صوت المغنيات فأضع أصبعي في أذني مخافة أن يعيه قلبي[3].

ولذا قال إسحاق بن راهوية: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل[4].

وكان الإمام الحافظ أبو عبد الله **محمد بن عميرة** محدث جرجان **يحفظ سبعين ألف حديث**[5].

قال ابن عقدة سمعت **أحمد بن ملاعب** (٢٧٥هـ) أبا الفضل البغدادي المخرمي يقول: ما أحدث إلا بما أحفظه **مثل حفظي للقرآن**. قال: ورأيته يفصل بين **الفاء والواو**[1].

---

(1) تاريخ دمشق ١٩/٣٨.
(2) شرح علل الترمذي ٤٩٤/١.
(3) تهذيب التهذيب ٣٠/٧.
(4) تاريخ دمشق ٢٣/٣٨.
(5) تاريخ جرجان، ص٤٠٩.

وروى الحافظ **أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي** البصري (٢٧٦هـ) من حفظه **ستين ألف حديث**[٢].

وقال ابن أبي حاتم منبهاً إلى إتقان الإمام **ابن أبي عاصم الشيباني** (٢٨٧ هـ): ذهبت كتبه بالبصرة في فتنة الزنج. فأعاد من حفظه **خمسين ألف حديث**[٣].

وكان **أبو عبد الله محمد** بن علي **البغدادي المعروف بقرطمة** (٢٩٠هـ) آية في الحفظ. قال ابن عقدة: والله ما رأيت أحفظ من قرطمة. ودخلت عليه فقال لي: ترى هذه الكتب خذ أيها شئت حتى أقرأه. قلت: كتاب الأشربة. فجعل يسرد من آخر الكتاب إلى أوله حتى قرأه كله[٤].

وهذا الحافظ الكبير أبو **علي صالح بن محمد بن عمرو** الأسدي **البغدادي** (٢٩٤هـ) خرزة محدث ما وراء النهر، نزل بخارى **وليس معه كتاب** فلم يتوقف عن العلم والرواية، فروى من حفظه[٥].

وكان الحافظ أبو عمرو **أحمد بن نصر بن إبراهيم الخفاف** (٢٩٩هـ) يذاكر **بمائة ألف حديث**[١].وقال ابن خزيمة يوم وفاته: لم يكن بخراسان أحفظ للحديث منه[٢].

---

(1) تاريخ بغداد ١٦٩/٥.

(2) شذرات الذهب ١٧٠/٢.

(3) طبقات الحفاظ، ص٢٨٥. وشذرات الذهب ١٩٥/٢.

(4) تاريخ بغداد ٦٥/٣.

(5) العبر في خبر من غبر ١٠٣/٢.

المبحث الرابع : من روائع المائة الرابعة :

وأملـــى الحافظ علي بن سعيد العسكري (٣٠٠هـــ) -أحد أركان الحديث- بقزويـــن **ثلاثيـــن ألف حديث** من حفظه، وعارض ما أملى بكتبه فلم يوجد عليه غلط في حديث[٣].

ودخل ابن خزيمة وأبو عمرو الحيري وأحمد بن علي الرازي على الحافظ الإمـــام **الحسن بن سفيان الشيباني النسوي** (٣٠٣هـــ)، فقال له الرازي: كتبت هذا من حديثك. قال: هات، فقرأ ثم أدخل إسناداً في إسناد فرده، ثم بعد قليل فعل ذلك فرده، فلما كان في **الثالثة** قال له: قد احتملتك مرتين وأنا **ابن تسعين سنة**، فاتق الله في المشايخ فربما استجيبت فيك دعوة. فقال له ابن خزيمة: مه لا تؤذ الشيخ. قال الرازي: إنما أردت أن تعلم أنه يعرف حديثه[٤].

وكـــان أبـــو محمـــد عـــبد **الله بن مظاهر الأصبهاني** آية في الحفظ، حفظ المسندات كلها ثم شرع في حفظ الموقوفات، مات **شاباً** في حياة شيوخه، ســـنة (٣٠٤هـــ)[٥].

وقـــال الحافظ أبو علي النيسابوري: كان **عبدان** (٣٠٦هـــ) - وهو الحافظ الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد الأهوازي- **يحفظ مائة ألف حديث** ما رأيت في المشايخ أحفظ منه[١].

---

(1) البداية والنهاية ١١٧/١١.

(2) شذرات الذهب ٢٣١/٢.

(3) التدوين في أخبار قزوين ٣٦٣/٣.

(4) تارخ دمشق ١٠٢/١٣. وبغية الطلب في تاريخ حلب ٢٣٦٩/٥.

(5) طبقات الحفاظ، ص٣٦٤. والوافي بالوفيات ٣٣٣/١٧.

وكـــان **ابن الباغندي** (٣١٢هـ) يسرد الحديث من حفظه ويهذّه مثل تلاوة القـــرآن للسريع القراءة، وكان يقول: حدثنا فلان، قال حدثنا فلان، وحدثنا فلان، وهو يحرك رأسه حتى تسقط عمامته[2].

ولمـــا قـــدم الحافظ **ابن أبي داود** أبو بكر عبد الله (٣١٦هـ) ابن الحافظ الكبير سليمان بن الأشعث السجستاني إلى سجستان، سألوه أن يحدثهم. فقال: ما معـــي كتاب. فقالوا: ابن أبي داود وتقول كتاب! فأملى عليهم **من حفظه ثلاثين ألـــف حديـــث**. فلما مضى إلى بغداد قال البغداديون: مضى إلى سجستان ولعب بهـــم، فأرسلوا رسولاً اكتروه بستة دنانير ليكتب لهم النسخة فكتبت وجيء بها وعرضـــت على الحفاظ فلم يخطئوه إلا في ستة أحاديث، فوجد منها ثلاثة خطأ وثلاثة في أصوله كما حدث[3].

وقـــال عـــنه ابن شاهين: كان يملي من حفظه. ولقد قرأ علينا يوماً حديث الفتون من حفظه، فقال له أبو تمام الزينبي: ما رأيت مثلك إلا أن يكون إبراهيم الحربي. فقال: كل ما كان الحربي يحفظه فأنا أحفظه[4].

وكان الإمام الحافظ العلامة شيخ الأدب **ابن الأنباري** (٣٢٨هـ) **من أفراد الدهر في سعة الحفظ**، وكان يقول: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. وكان لا يملي إلا

(1) العبر في خبر من غبر ١٣٩/٢.
(2) تاريخ بغداد ٢١١/٣.
(3) لسان الميزان ٢٩٦/٣. وورد أنها ستة وثلاثين ألف حديث، وقيل: أربعين ألفاً. وقيل إن ذلك كان بأصبهان. فلا أدري هل هما قصتان مختلفتان؟ انظر: تاريخ بغداد ٢٧/٩، ٩/ ٤٦٦. وتاريخ دمشق ٨٢/٢٩. وسير أعلام النبلاء ٣٨٢/٩.
(4) سير أعلام النبلاء ٢٢٥/١٣.

مـــن حفظـــه، فقيل إنه أملى غريب الحديث في خمسة وأربعين ألف ورقة، وله كتاب الأضداد كبير جداً، وكتاب شرح الكافي في ألف ورقة، وكتاب الجاهليات . في سبع مائة ورقة، وكان ما يمليه ويصنفه: من حفظه **لا من دفتر ولا كتاب**[1].

وقـــال الدارقطني عن **ابن عقدة** أبي العباس أحمد بن محمد الكوفي (٣٣٢ هــــ): أجمـــع أهـــل الكوفة أنه لم ير بها من زمن ابن مسعود إلى زمنه أحفظ منه[2].

وعـــن نفسه قال: **أحفظ مائة ألف حديث** بالإسناد والمتن، وأذاكر بثلاثمائة ألـــف حديـــث[3]. وقـــال ابن كثير: ويقال إنه كان يحفظ نحواً من **ستمائة ألف حديث**[4].

وكان **الحاكم المروزي** (٣٣٤هــ) عالم مرو، **يحفظ ستين ألف حديث**[5].

وكـــان أبو عبدالله **الختلي** (٣٣٥هــ) مشهوراً بالحفظ، فذهب إلى البصرة ولـــيس معـــه شـــيء من كتبه فحدث شهوراً إلى أن لحقته كتبه. فسمعته يقول: حدثت **بخمسين ألف حديث** من حفظي إلى أن لحقتني كتبي[6].

وكـــان الإمـــام الحـــافظ أبـــو الحسن **علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني** (٣٤٥هــ) **يحفظ مائة ألف حديث**[1].

(1) تذكرة الحفاظ ٨٤٢/٣. وشذرات الذهب ٣١٦/٢.

(2) تاريخ بغداد ١٦/٥.

(3) المرجع السابق ١٧/٥.

(4) البداية والنهاية ٢٠٩/١١.

(5) الأنساب ٤٧٨/٣.

(6) تاريخ بغداد ٢٩٠/١٠.

وقال ابن مرنويه سمعت القاضي أبو أحمد محمد بن إبراهيم بن سليمان العسال الأصبهاني (٣٤٩هـ) يقول: أحفظ في القرآن خمسين ألف حديث ويقال إنه أملى تفسيراً كبيراً من حفظه، وأملى بأردستان أربعين ألف حديث. فلما رجع إلى بلده قابل ذلك فإذا هو كما أملى. وقال له رجل: إني حلفت أنك تحفظ سبعين ألف حديث، فهل أنا بار؟ قال: برت يمينك، إني أحفظ في القرآن سبعين ألف حديث[٢].

وقال أبو علي التنوخي: ما شاهدنا أحداً أحفظ من أبي بكر محمد بن عمر الجعابي (٣٦٠هـ). وسمعت من يقول: إنه يحفظ مائتي ألف حديث ويجيب في مثلها[٣]. وقال ابن كثير: وكان حافظاً مكثراً، يقال إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها، ويذاكر بستمائة ألف حديث[٤].

وقال أبو عمر القاسم ابن جعفر الهاشمي: سمعت ابن الجعابي يقول: أحفظ أربعمائة ألف حديث وأذاكر بستمائة ألف حديث[٥].

قال ابن أبي الفوارس: سألت محمد بن المظفر بن موسى البغدادي (٣٧٩ هـ) عن حديث الباغندي عن أبي زيد الحزازي عن عمرو بن عاصم، فقال: ما هو عندي. قلت: لعله عندك. قال: لو كان عندي لكنت أحفظه، عندي عن الباغندي مائة ألف حديث ما هذا منها[٦].

(1) الوافي بالوفيات ٥/٢٠. والنجوم الزاهرة ٣١٥/٣.
(2) سير أعلام النبلاء ١٠/١٦.
(3) تاريخ دمشق ٤٢٣/٥٤. وقد رمي ابن الجعابي بالتشيع وقلة الدين.
(4) البداية النهاية ٢٦١/١١.
(5) العبر في خبر من غبر ٣٠٨/٢.
(6) تاريخ دمشق ٦/٥٦.

وقال البرقاني: أملى عليَّ **الدارقطني** (٣٨٥هـ) كتاب العلل من حفظه[1].

المبحث الخامس : من روائع المائة الخامسة وما بعدها :

قال الحاكم: أشهد أن أبا بكر **محمد بن أحمد الاسفرايني** (٤٠٦هـ) يحفظ من حديث مالك وشعبة والثوري ومسعر أكثر من **عشرين ألف حديث**[2].

وكان الحافظ **أبو عبد الله الصوري** (٤٤١هـ) ممن أشتهر بالحفظ، ولا يستبعد عليه بعض أصحابه أنه كان يذاكر **بمائتي ألف حديث**[3].

وكان **أبو عمر الداني** (٤٤٤هـ) من الأئمة الحفاظ المقرئين، ولم يكن في عصره ولا بعده أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه. وكان يقول: **ما رأيت شيئاً قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته فنسيته**[4].

وقال شيخ الإسلام الإمام الزاهد **إسماعيل الهروي** (٤٨١هـ): **أحفظ اثني عشر ألف حديث** أسردها سرداً[5].

وعن **الإمام الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا** (٤٨٦هـ)[6] قال الحميدي: ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب، وقال:

---

(1) تاريخ بغداد ١٢/٣٧.

(2) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٦.

(3) تاريخ دمشق ٥٤/٣٧٢.

(4) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢/١٣٦.

(5) طبقات الحفاظ، ص٤٤٠.

(6) قتله غلمان له من الترك. قيل سنة (٤٨٦هـ)، وقيل (٤٨٧هـ)، وقيل (٤٨٥هـ)، وقيل (٤٧٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٥٧٦، وتاريخ دمشق ٤٣/٢٦٥.

حتى أكشفه. وما راجعت **ابن ماكولا** في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب[1].

وكان أحمد بن علي بن محمد الفقيه الشافعي المعروف **بابن برهان** (٥١٨هـ)، كان ذكياً حاذق الذكاء **لا يسمع شيئاً إلا حفظه**[2].

وأما العالم الزاهد **عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن القاسم العمري** (٥٦٤هـ) فكان يستظهر الكتب كأنه ينظر في صحيفة ويأتي من ذلك بأمر معجب معجز، وقال يوماً لبعض أصحابه: **ما حفظت شيئاً فنسيته**[3].

وكان **أبو الخير الإمام الحافظ المتقن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن حمدان بن موسى الأصبهاني** (٥٦٨هـ) ذا ثقة في حفظه، وكان يقول: **من أراد أن يقرأ الإسناد حتى أقر المتن ومن أراد أن يقرأ المتن حتى أقرأ الإسناد**[4].

وكان الحافظ **عبد الغني المقدسي** (٦٠٠هـ) غزير الحفظ والإتقان، وقيماً يجمع فنون الحديث، وكان لا يسأله أحد عن حديث إلا ذكره له، ولا عن رجل إلا قال هو فلان ابن فلان ونسبه.

---

(1) معجم الأدباء ٣٤٦/٤.

(2) الوافي بالوفيات ١٣٧/٧. وطبقات الشافعية ٢٨٠/٢.

(3) تكملة الصلة ٤٤/٤.

(4) طبقات الحفاظ، ص٤٧٤. وفي سير أعلام النبلاء ٥٧٥/٢٠ أن ذلك كان في صحيح البخاري.

وقيل له: إن رجلاً يحلف **بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث**، فقال: لو قال أكـثر من ذلك لصدق. قال التاج الكندي: لم ير الحافظ عبد الغني مثل نفسه ولم يكن بعد الدارقطني مثله(١).

وأمـا الحافظ القاضي **علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن أبي بكر بـن مغلـى الحنبلـي** (٨٢٨هـ) فكان أعجوبة زمانه، وكان **سريع الحفظ إلى الغايـة**، ويحكـى عنه في ذلك غرائب منها ما حكى بعض الفقهاء قال: استعار منـي أوراقـاً نحو عشرة كراريس، فلما أخذها مني احتجت إلى مراجعتها في اليوم، فرجعت إليه بعد ساعة، وقلت: أريد أنظر في الكراريس نظرة، ثم خذها ثانياً. فقال: ما بقي لي فيها حاجة، قد حفظتها ثم سردها من حفظه(٢).

ومن الحفاظ: **شمس الدين محمد بن محمد التونس المالكي الملقب بمغوش** (٩٤٧هـ)، كان من أعاجيب الدنيا، عالماً علامة متقناً متفنناً، ذا إدراك عجيب واستحضار غريب، وكان يطالع من حفظه كلما أراد من العلوم، ولم يكن عنده كـتاب ولا ورقة أصلاً، وكان يحفظ شرح التلخيص مع حواشيه وشرح الطوالع وشرح المواقف وشرح المطالع كما قاله في الشقائق(٣).

وفـي عصـرنا بعـض النماذج الفذة وهي لبعض علماء الشناقطة، منهم: العلامـة سـيدي محمد ابن العلاّمة سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي (١٢٥٠هـ) الذي يقول: (إن علوم المذاهب الأربعة لو رمي بجميع مراجعها في

(1) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٤٨-٤٤٩.
(2) شذرات الذهب ٧/١٨٥-١٨٦.
(3) شذرات الذهب ٨/٢٧١.

الـــبحر لتمكنـــت أنا وتلميذي ألْفَغْ الديماني من إعادتها دون زيدٍ أو نقصان، هو يحمل المتن وأنا أمسك الشروح)[١].

وكـــان العلاّمة محمد محمود التُّرْكُزي (١٣٢٢هـــ) يحفظ القاموس كحفظه الفاتحـــة، وكـــان الأزهـــريون يصححون نسخهم من نسخة التركزي رحمه الله المحفوظة في صدره[٢].

وذُكر في ترجمة العلاّمة عبد الله بن عتيق اليعقوبي (١٣٣٩هــ)، أنه كان يحفظ لسان العرب لابن منظور[٣].

وروي عن الشيخ سيد المختار ابن الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ أحمد بن ســـليمان (ت ١٣٩٧م) حِفظ كثير من كتب المراجع مثل: فتح الباري، والإتقان للسيوطي، غير المتون والكتب التي تُدرّس في المحظرة[٤].

---

(1) بتصـــرف: من بلاد (شنقيط المنارة والرباط) الخليل النحوي ، ص٢٣١. نقلاً عن مقال: لماذا الشناقطة يحفظون؟ لمحمود بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة البيان، العدد: ١٣٥ ، ص١٠٠.

(2) المرجع السابق، ص١٠٠.

(3) معجـــم المؤلفين في القطر الشنقيطي، لسيدي محمد بن محمد عبدالله ولد بزيد، ص٦٨. نقـــلاً عـــن مقال: لماذا الشناقطة يحفظون؟ لمحمود بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة البيان، العدد: ١٣٥، ص١٠٠.

(4) بتصـــرف: من بلاد (شنقيط المنارة والرباط) الخليل النحوي ، ص٢٣٣. نقلاً عن مقال: لماذا الشناقطة يحفظون؟ لمحمود بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة البيان، العدد: ١٣٥، ص١٠٠.

ثبت المراجع والمصادر :

١- أبجد العلوم، صديق حسن خان القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الظاهري، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣- أدب الاملاء والاستملاء، عبد الكريم السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتاب العربي، لبنان.

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٦- التاريخ الكبير، للبخاري، ت: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٧- تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، ت: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٨- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ.

٩- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، طبعة بيروت، لسنة ١٩٦٧م.

١٠- تهذيب الكمال في أخلاق الرجال، للحافظ المزي، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية، دار المأمون للتراث، دمشق.

١١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٢- الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- الحطة في ذكر الصحاح الستة، صديق حسن خان القنوجي، دار الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤- حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتب العربي، ط. الخامسة، ١٤٠٧هـ.

١٥- الزهد الكبير، للبيهقي، ت: أحمد عامر حيدر، مؤسسة الكتب، بيروت، ط: الثالثة، ١٩٩٦م.

١٦- الزهد، لابن أبي عاصم، ت: عبدالعلي عبدالحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٧- الزهد، للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لسنة ١٤٠٥هـ.

١٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٠- السنة، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، ت: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢١- السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، ت: د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، الدمام ط: الثالثة ١٤١٦هـ.

٢٢- السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة دار الفكر، بيروت.

٢٣- سنن سعيد بن منصور، ت: د. سعد آل حميد، دار العصيمي، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٥- شرح معاني الآثار للطحاوي، ت: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٦- شعب الإيمان، للبيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٧- صحيح الترغيب والترهيب، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٨- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٢٩- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٠- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣١- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٢- صحيح مسلم، بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣- صفة الصفوة، لابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣٤- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٣٥- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٣٦- عمدة القارئ، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٨- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي.

٣٩- فقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي، ت: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٠- فيض القدير، للمناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٤١- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى.

٤٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٤٣- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ت: أبو عبدالله السورقي وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٤٤- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٦- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.
٤٧- المجروحين، لابن حبان، محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط: الأولى، ١٣٩٦هـ.
٤٨- مجمع الزوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، ط: الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٤٩- المراهقون. دراسة نفسية إسلامية، عبد العزيز النغيمشي، دار طيبة، الرياض، ط: الأولى، ١٤١١هـ.
٥٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الباز، مكة.
٥١- مسند الإمام أحمد، طبعة دار الدعوة إستانبول، تركيا، ١٤٠١هـ.
٥٢- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت: طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٥٣- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار العلوم والحكم، الموصل، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.
٥٤- معرفة الثقات، لأبي الحسين أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، مكتبة الدار، المدينة، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.
٥٥- موضح أوهام الجمع والتفريق، الخطيب البغدادي، دار المعرفة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.
٥٦- نصيحة أهل الحديث، الخطيب البغدادي، مكتبة المنار، الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
٥٧- وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، أحمد بن أبي بكر خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

فهرس الموضوعات :